مركز البيدر للدراسات والتخطيط
Al-Baidar Center for Studies and Planning

ورقة بحثية

دبلوماسية التحوّل والتصعيد العسكري: تحالفات متغيرة في شرق أوسطٍ مأزوم

نبيل خالد مخلف

ملخص

في خضمّ التحولات الجيوسياسية المتسارعة التي يشهدها الشرق الأوسط، برزت سلسلةٌ من اللقاءات الدبلوماسية اللافتة كمؤشرات على تبدّل موازين القوى وإعادة تشكيل خارطة التحالفات التقليدية، إذ لم تعد الصراعات الإقليمية تُدار فقط بلغة الحرب والاصطفافات الأيديولوجية، بل دخلت مرحلة «دبلوماسية التحوّل»[1]. حيث تتلاقى المصالح الأمنية والاقتصادية في مساراتٍ غير مألوفة؛ من بغداد ودمشق إلى الدوحة، ومن الرياض إلى طهران، تتحرك الأطراف الفاعلة ببراغماتية واضحة، في محاولة لاحتواء أزمات مزمنة وصياغة واقع جديد أكثر قابلية للتعايش، لكن السؤال يبقى: هل تمثل هذه التحركات انطلاقة حقيقية نحو الاستقرار، أم مجرّد هدنة مؤقتة في مشهد لا يزال مضطرباً؟[2].

أولاً: لقاءات دبلوماسية تعكس تحولات الشرق الأوسط

في مشهدٍ يعكس تحولاتٍ جيوسياسية عميقة، شهدت المنطقة العربية مؤخراً سلسلة لقاءات دبلوماسية غير تقليدية، تلامس جروح أزمات مزمنة وتحاول استشراف مسارات جديدة للاستقرار[3]. بدأت الحكاية في العاصمة القطرية الدوحة، حيث اجتمع رئيس الوزراء العراقي محمد شياع السوداني مع رئيس السلطة الجديدة برئاسة أحمد الشرع، في خطوةٍ تُحسب ضمن مسار إعادة إحياء الدور السوري في المحيط العربي بعد سنوات من العزلة[4]. إذ لم تكن الدوحة التي دعمت المعارضة السورية كثيراً خلال الحرب الأهلية، مجرد مضيفة محايدة، بل كانت شريكاً في مراجعة سياسات إقليمية، ربما لتعويض تراجع نفوذها بعد فشل مشروع «الربيع العربي»، أو لتحقيق توازن مع تركيا التي لا تزال تحتل أجزاءً من الشمال السوري[5].

بينما العراق، الذي يبدو كجسرٍ بين العالمين العربي والإيراني، يحاول أن يلعب دور الوسيط، فمن ناحية، يسعى لتعزيز التعاون مع دمشق في ملفات شائكة مثل مكافحة بقايا تنظيم داعش، أو إعادة النازحين، ومن ناحية أخرى، يدفع باتجاه مشاريع اقتصادية مشتركة كالربط الكهربائي، محاولاً استغلال موقعه الجيوستراتيجي لتحقيق مكاسب قد تعيد له بريقه كمركزٍ تجاري إقليمي؛ لكن هذا الدور لا يخلو من تحديات[6]. فالعراق نفسه يعاني من انقسامات داخلية، وتأثيرات التدخلات الخارجية، ولكن السؤال هنا: هل إيران الآن كما كانت إيران في السابق؟ ومن أجل الإجابة عن هذا التساؤل لابد من النظر في المفارقة التالية التي ستفضي إلى جواب واضح عن السؤال المطروح[7].

لقد انتقلت عدسة الأحداث إلى طهران، حيث استقبل المرشد الأعلى الإيراني علي خامنئي وزير الدفاع السعودي الأمير خالد بن سلمان، في لقاءٍ نادرٍ يجسد ذروة مسار المصالحة السعودية-الإيرانية الذي بدأ بوساطة صينية في 2023، حيث لم يكن اللقاء مجرد بروتوكول دبلوماسي، بل علامة على انزياحات عميقة في تحالفات المنطقة، فالسعودية، التي قادت لعقدٍ تحالفاً عربياً ضد النفوذ الإيراني، تُظهر الآن مرونةً غير مسبوقة، ربما لإيجاد مخرجٍ من مستنقع اليمن، أو لاحتواء التهديدات الأمنية التي تعيق رؤية 2030 الاقتصادية[8]. أما إيران الآن، التي تعاني من عقوبات غربية خانقة، تسعى لتحويل المصالحة إلى جسرٍ لتخفيف عزلتها، وربما لخلق انفراجة في الملف النووي عبر تحالفٍ غير معلن مع الرياض ضد الضغوط الأمريكية[9].

ثانياً: خلف الكواليس: صراعات النفوذ وأحجية الاستقرار

وراء هذه اللقاءات، تكمن أحجية معقدة من المصالح المتضاربة: فالدول العربية التي عادت لاستقبال النظام السوري (كالإمارات والأردن) تأمل في كبح تدفق المخدرات السورية، ووقف الهجرة غير الشرعية، لكنها تتصارع مع واقعٍ أنَّ دمشق ما تزال تحتل أجزاءً من أراضي جيرانها (لبنان والأردن)، وتعتمد بشكلٍ شبه كلي على دعم إيران وروسيا[10]. وفي المقابل، تحاول قطر، من خلال استضافة الحوار العراقي-السوري، أن تثبت نفسها كوسيطٍ إقليمي منافس للإمارات، التي سبقتها في فتح أبواب مع دمشق[11].

أما المحور الإيراني-العراقي-السوري، فيواجه شكوكاً عربية وتحديات تأريخية، بينما يرى فيه أنصاره ضمانةً ضد عودة التنظيمات المتطرفة مثل «داعش»، ويعزز من التنسيق الأمني والاستخباراتي بين أطرافه.

إن هشاشة هذا التحالف تظهر بوضوح في ظل وجود خلافات سياسية داخلية، وتباينات في المصالح الوطنية، فضلاً عن الضغوط الاقتصادية الناجمة عن العقوبات الأمريكية المفروضة على إيران، التي تهدد أيَّ جهة تتعامل معها، في الحقيقة هذه العوامل مجتمعة تضع مستقبل التحالف على المحك، وتجعله عرضة للتآكل مع مرور الوقت، ما لم يتمكن من إيجاد أرضية مشتركة تضمن له الاستمرارية والشرعية الإقليمية[12].

ثالثاً: السيناريو الأكثر ترجيحاً: دبلوماسية الهشاشة

على الرغم من أن هذه الخطوات تبدو كـ«صحوة دبلوماسية»، فإنها هشة كبيت العنكبوت، فالنظام السوري، الذي فقد سيطرته على جزءٍ كبير من أراضيه، لا يملك سوى وعود بإعادة الإعمار[13]. بينما العقوبات الغربية تجعل المستثمرين العرب يحجمون عن المغامرة[14].

وفي الجانب السعودي-الإيراني، تطفو على السطح أسئلةٌ محرجة: هل ستتخلى إيران عن حلفائها في اليمن أو لبنان مقابل تحسين العلاقات مع الرياض؟ وهل ستسمح واشنطن لهذه التحركات هذه أن تهدد تحالفاتها التقليدية في العراق مثلاً؟[15].

والجدير بالذكر، أن الشرق الأوسط يدخل مرحلةً جديدةً من «الدبلوماسية الواقعية»، حيث تذوب العداوات القديمة تحت وطأة المصالح الاقتصادية والتهديدات الأمنية المشتركة، لكنَّ المنطقة التي تَعلّمْنا منها ألا نثق بسطوع شمس بعد عاصفة، تبقى تحتفظ بأسرارها في جعبتها، فهل تكون هذه اللقاءات بداية عهدٍ من التعايش، أم مجرد استراحة محارب قبل جولة جديدة من الصراع؟ الإجابة قد تحملها الرياح القادمة من "الكيان الصهيوني" التي ما تزال تمسك بخيوط اللعبة الكبرى في الشرق الاوسط[16].

رابعاً: "الكيان الصهيوني" كعامل تصعيدي في المعادلة الإقليمية

في خضم التحولات الدبلوماسية العميقة التي شهدتها منطقة الشرق الأوسط خلال الفترة الأخيرة، والتي سعت إلى بناء أسس سلام مستدام يعيد الاستقرار إلى المنطقة ويضع حداً لعقود من الصراعات، برز "الكيان الصهيوني"، كفاعلٍ رئيسٍ يحاول قلب المعادلة السياسية الإقليمية على نحو جذري، إذ تبدو الرياح القادمة من "الكيان الصهيوني" لا ترغب في هدوء العاصفة، بل على العكس، تسعى إلى تصعيد الأوضاع وزيادة التوتر، مما

أدى إلى انحراف مسار التحولات الدبلوماسية التي كان من المفترض أن تفضي إلى تهدئة شاملة[17].

ففي أعقاب هذه اللحظة التحولية المفصلية، شهدت المنطقة تصعيداً متبادلاً بين إيران و"الكيان الصهيوني"، تَمَثَّل في عمليات قصف متبادلة وهجمات عسكرية متكررة، الأمر الذي جعل المعركة تظل مشتعلة بلا توقف، وبدون أي بوادر واضحة لحل أو تسوية، يأتي هذا التصعيد في ظل تنافس إقليمي متصاعد يسعى كل طرف فيه إلى فرض نفوذه وأجندته السياسية، في ظل حسابات معقدة لمصالح دولية وإقليمية متشابكة[18].

وفي الوقت الذي تحاول فيه دول المنطقة والعالم استثمار اللحظة الدبلوماسية لإحلال السلام، يبقى "الكيان الصهيوني"، من خلال مواقفه وتصعيدها المستمر، عائقاً كبيراً أمام هذه المساعي، مما يضع المنطقة أمام تحديات أمنية وسياسية جسيمة، ويزداد الأمر تعقيداً بفعل التدخلات الخارجية والمصالح المتضاربة، التي تغذي دائرة العنف وتعرقل بناء الثقة بين الأطراف المتنازعة، وبالتالي فإن استمرار هذه الحالة من التصعيد يهدد ليس فقط استقرار الشرق الأوسط، بل يمتد تأثيره إلى الأمن الدولي بأسره، حيث تتحول المنطقة إلى بؤرة توتر قد تؤدي إلى صراعات أوسع وأخطر إذا لم تُتخذ خطوات جادة نحو التهدئة والحوار البناء، في ظل هذه الظروف، يبقى البحث عن حلول دبلوماسية فعالة واستراتيجية متكاملة ضرورة ملحة لإنهاء دائرة العنف وإرساء قواعد السلام العادل والشامل في المنطقة[19].

خامساً: التصعيد في الشرق الأوسط: تداعياته الإقليمية والدولية وإمكانيات احتوائه دبلوماسياً

المعروف عن منطقة الشرق الأوسط أنها واحدة من أكثر المناطق عرضة للاضطرابات والصراعات في النظام الدولي المعاصر، ويُشكّل استمرار حالة التصعيد فيها تهديداً بالغ

الخطورة لا يقتصر على استقرارها الإقليمي فحسب، بل يمتد ليطال بنية الأمن الدولي برمتها.

أضحت المنطقة بؤرةً لتوتر متصاعد تتشابك فيه الحسابات الجيوسياسية، ما يرفع من احتمالية انزلاقها إلى صراعات واسعة النطاق إذا لم يتم تبنّي مقاربات دبلوماسية حقيقية، تتسم بالشمولية والجدية، للخروج من هذه الحلقة المفرغة من العنف.

والجدير بالذكر، إن التفاعلات الراهنة تستدعي تحليلاً معمّقاً لثلاثة محاور مركزية، تشكّل مفاتيحَ لفهم المشهد السياسي والأمني المتوتر في المنطقة:

1. التحالفات الناشئة وإعادة تشكيل التوازن الإقليمي: يُعدّ بروز تقارب سعودي–إيراني في الآونة الأخيرة أحد أهم التحولات في المعادلات الإقليمية، إذ تمثّل هذه الخطوة انعطافة دبلوماسية يُعوَّل عليها في تقليص حدة الاستقطاب الطائفي والسياسي الذي هيمن على المنطقة خلال العقود الماضية، ومع ذلك، يَطرحُ التصعيد الصهيوني – الإيراني تساؤلاتٍ جوهريةً حول مدى قدرة هذه التحالفات الوليدة على الصمود أمام تحديات أمنية متصاعدة، خاصة في ظل هشاشة البنية الأمنية الإقليمية وغياب منظومة جماعية فعّالة لفض النزاعات[20].

2. تضارب الأجندات الدولية وصراع النفوذ: يُظهر الموقف الدولي من التصعيد في الشرق الأوسط انقساماً واضحاً بين القوى الكبرى، ففي الوقت الذي أبدت فيه الولايات المتحدة دعماً مطلقاً "للكيان الصهيوني"، دعت كلٌ من الصين وروسيا إلى ضبط النفس والاحتكام إلى القانون الدولي، ما يعكس احتدام المنافسة الجيوسياسية على النفوذ في هذه المنطقة الاستراتيجية، هذا الانقسام لا يعكس فقط تباين المواقف السياسية، بل يكشف أيضاً عن هشاشة النظام الدولي المعاصر وعدم فاعليته في ضبط الأزمات الإقليمية[21].

3. مستقبل الاستقرار الإقليمي في ظل بيئة أمنية متقلبة: تَفرض المستجدات الأمنية على العديد من الدول العربية إعادة النظر في خياراتها الاستراتيجية وتحالفاتها الإقليمية، فمع تصاعد خطر الاتهام بالانحياز أو التواطؤ، خصوصاً تجاه قوى "محور المقاومة"، تجد بعض الدول، مثل السعودية والعراق، نفسها أمام معادلة دقيقة: إمّا الانخراط النشط في جهود التهدئة، أو التعرض لضغوط سياسية قد تضعف مكانتها في النظام الإقليمي الجديد، ومن هنا، تتعاظم الحاجة إلى تفعيل الدبلوماسية الوقائية وتعزيز آليات التنسيق الجماعي، بعيداً عن الاصطفافات الحادة[22].

وبالتالي فلا مناص من القول، إن الشرق الأوسط، في ظل هذا التصعيد، يقف عند مفترق طرق تاريخي، فمن جهة، تواصل ديناميات العنف فرْض سطوتها على المشهد، ومن جهة أخرى، تلوح بوادر تحول استراتيجي يمكن البناء عليه لإرساء أسس نظام إقليمي أكثر توازناً واستقراراً، وفي هذا السياق، فإن ما يُطلق عليه "دبلوماسية التحول" قد تمثّل ركيزة مهمة لرسم خريطة تحالفات جديدة قادرة على احتواء التوتر، غير أن ذلك يقتضي إرادة سياسية جادة، ودعماً دولياً متوازناً، وإصلاحاً جوهرياً للمنظومة الإقليمية التي ما زالت رهينة للانقسامات التاريخية[23]. ولكن يبقى السؤال المركزي المطروح أمام صانعي القرار: هل يكون هذا التصعيد بداية لمرحلة أكثر اضطراباً، أم لحظة فاصلة تفتح الباب أمام دول المنطقة لتسوية شاملة تخرج المنطقة من دوائر الصراع المزمنة؟

سادساً: العراق بين ضغوط التصعيد وتحديات الحياد

يواجه العراق تحدياً استراتيجياً مع تصاعد التوتر الإيراني – الصهيوني، إذ يجد نفسه، بحكم موقعه الجيوسياسي، وسط صراع إقليمي ربما لا يُعد طرفاً مباشراً فيه، لكنه يتأثر به بشكل كبير، هذا الموقع يجعل من سياسة الحياد خياراً صعباً، خاصة في ظل وجود قوى غير رسمية مسلّحة، يصعب على الدولة ضبط تحركاتها بالكامل، وبالرغم من إعلان

بغداد رفضها لاستخدام أراضيها كساحة لتصفية الحسابات، تبقى هشاشة سيادتها عائقاً أمام تبني موقف وطني موحد.

خلق غياب السيطرة الكاملة على القرار الأمني والسياسي تبايناً في المواقف، ويُعرِّض البلاد لاحتمالات الانجرار غير المقصود إلى الصراع، أمّا من الجانب الاقتصادي، فيشكّل أيُّ اضطراب في مضيق هرمز أو الخليج تهديداً مباشراً للعراق، نظراً لاعتماده الكبير على تصدير النفط عبر هذه الممرات، ما يضع الاقتصاد العراقي الهش أمام مخاطر جديدة تُفاقِم أزماته الداخلية. وعلى الرغم من التحديات، يملك العراق فرصة للتحول إلى وسيط إقليمي فاعل، إنْ توفرت الإرادة السياسية، والقرار السيادي، والسيطرة الأمنية.

علاقات العراق المتوازنة مع أكثر أطراف الصراع تتيح له لعب دور في التهدئة، شريطة تأمين دعم داخلي وخارجي لهذا الدور، وفي المحصلة، يقف العراق أمام خيارين: الاستمرار كأرض مستباحة في صراعات الآخرين، أو إعادة تعريف موقعه كفاعل إقليمي يسهم في بناء توازنات جديدة تحفظ سيادته ومصالحه[24].

خاتمة

في ضوء ما استعرضته الورقة من تحولات دبلوماسية غير مسبوقة في الشرق الأوسط، ومظاهر تصعيد عسكري متزايد، يتضح أن المنطقة تمر بمرحلة إعادة تشكّل استراتيجي يُعيد صياغة توازنات القوى ومسارات التحالفات الإقليمية.

لقد مثّلت دبلوماسية التحول، كما بُحث في الورقة، محاولةً جادة من بعض الفواعل الإقليمية لتجاوز الانقسامات التقليدية، مستفيدة من المتغيرات الدولية، في حين قوبلت هذه التحركات بتحديات تصعيدية عميقة، تُجسّدها حالة التوتر الإيراني – الصهيوني، والتداخلات الصهيونية في البنية الأمنية الإقليمية.

ويُعدّ العراق أنموذجاً حياً لتلك الإشكالية المزدوجة: فهو من جهة يسعى لتموضع دبلوماسي متوازن، ومن جهة أخرى يعاني من هشاشة داخلية وانكشاف استراتيجي يجعله أكثر عرضة لتأثيرات الصراع. وبذلك، تشير المعطيات إلى أن المنطقة تقف على مفترق طرق حاسم: فإمّا أن تتجه نحو بلورة نظام إقليمي قائم على مبدأ التعايش والتنسيق الجماعي، وإمّا أن تعود إلى دوائر الصراع التقليدي التي أثبتت إخفاقها في إنتاج الأمن والاستقرار. من هنا، تبرز الحاجة إلى بناء دبلوماسية إقليمية واقعية، تنطلق من المصالح المشتركة، وتُدار بإرادة سياسية ناضجة، بعيداً عن الاستقطابات الحادة، وبرؤية تتجاوز الاعتبارات الآنية نحو تصور استراتيجي شامل يعيد للشرق الأوسط توازنه المفقود.

المراجع

[1]Elizabeth Dent, The Emergence of Saudi Arabia as a Diplomatic Mediator, Policy Watch, Policy Analysis Paper No. 4015, Washington, D.C., retrieved from the electronic link:https://tinyurl.com/de9nzwjk .

[2]Reuters, Saudi Defense Minister Arrives in Tehran Ahead of Iran-US Talks, Official Website, Retrieved from:https://tinyurl.com/5cze449c .

[3] علي بن محمد الجديع، كيف تحولت السعودية إلى مركز ثقل دبلوماسي عالمي؟، وكالة إيلاف الإخبارية، تم الاسترجاع من الرابط الإلكتروني:https://tinyurl.com/2b7265xw .

[4]Amwaj Media News Agency, Inside Story: Iraqi Prime Minister Meets Syrian President in Historic Meeting in Doha, Policy Analysis Center, retrieved from the link:https://tinyurl.com/4mmxz3we .

[5] Sinan Mahmoud, Qatar brings together Syrian and Iraqi leaders to mend relations, The National, published on April 18, 2025, retrieved from the electronic link:https://tinyurl.com/y43mwhzn .

[6]Shafaq News Agency, Syrian Presidency: Security and borders dominate the law, published on 4/17/2025, retrieved from the electronic link:https://tinyurl.com/7fntrd4d.

[7]MuhannadSalloum, From Rivals to Allies: Iran's Evolving Role in Iraq's Geopolitics, Middle East Council on Global Affairs, retrieved from the following link:https://tinyurl.com/2cvwzefh .

[8] CNN News Agency, Saudi Defense Minister visits Iran in the highest-level visit in decades, official website, retrieved from the electronic link:https://tinyurl.com/5xntkbtm .

[9]The Times of Israel, Saudi defense minister delivers message from king to Khamenei during period of regional tension, official website, published on April 17, 2025, retrieved from the electronic link:https://tinyurl.com/bdfawm5c .

[10] Giorgio Cafiero, Sharia in the United Arab Emirates: The UAE may need Sharia as much as it needs it, Good Governance News Platform, retrieved from the electronic link:https://tinyurl.com/mrxvpd3h .

[11] Mohammad Seyoum, Syrian President Meets Iraqi Prime Minister in Doha Facilitated by Emir of Qatar, Anadolu Agency, Published on 4/17/2025, Retrieved from the following link:https://tinyurl.com/4z8bfjbp.

[12]محمد السعيد إدريس، العراق .. وهواجس «الخيار السوري»، صحيفة الخليج العربي، نشر بتاريخ 2025/4/15، تم الاسترجاع من الرابط الإلكتروني: https://tinyurl. com/3frptp7b .

[13]عقيل عباس، أحمد الشرع ... "كرة النار" السورية التي تتدحرج نحو "الإطار" العراقي، موقع المجلة، نشر بتاريخ 2025/3/28، تم الاسترجاع من الرابط الإلكتروني:https:// tinyurl.com/mwrjpb6h .

[14]James Phillips, Maintaining International Pressure and Sanctions on Iran, The Heritage Foundation, retrieved from:https://tinyurl.com/ y44zrcfr .

[15]موقع الجزيرة الإخبارية، ما طبيعة الرسالة التي حملها وزير الدفاع السعودي للمرشد الإيراني؟، نشر بتاريخ 2025/4/17، تم الاسترجاع من الرابط الإلكتروني:https:// tinyurl.com/mthhv3uu .

[16]Dana Stroul, The Narrow Road to a New Middle East: A Regional Order to Contain Iran Forever, Foreign Affairs, retrieved from:https:// tinyurl.com/4ztb6cw7 .

هوية البحث

اسم الباحث: نبيل خالد مخلف – ماجستير علوم سياسية- جامعة الأنبار

عنوان البحث: دبلوماسية التحوّل: تحالفات متبدّلة في شرق أوسط مأزوم

تأريخ النشر: حزيران - يونيو 2025

ملاحظة:

الآراء الواردة في هذا البحث لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المركز، إنما تعبر فقط عن وجهة نظر كاتبها

عن المركز

مركز البيدر للدراسات والتخطيط منظمة عراقية غير حكوميّة، وغير ربحِيّة، أُسِّس سنة 2015م، وسُجِّل لدى دائرة المنظمات غير الحكومية في الأمانة العامة لمجلس الوزراء.

يحرص المركز للمساهمة في بناء الإنسان، بوصفه ثروة هذا الوطن، عن طريق تنظيم برامج لإعداد وتطوير الشباب الواعد، وعقد دورات لصناعة قيادات قادرة على طرح وتبني رؤى وخطط مستقبلية، تنهض بالفرد والمجتمع وتحافظ على هوية المجتمع العراقي المتميزة ومنظومته القيمية، القائمة على الالتزام بمكارم الأخلاق، والتحلي بالصفات الحميدة، ونبذ الفساد بأنواعه كافة، إدارية ومالية وفكرية وأخلاقية وغيرها.

ويسعى المركز أيضاً للمشاركة في بناء الدولة، عن طريق طرح الرؤى والحلول العملية للمشاكل والتحديات الرئيسة التي تواجهها الدولة، وتطوير آليات إدارة القطاع العام ورسم السياسات العامة ووضع الخطط الاستراتيجية، وذلك عن طريق الدراسات الرصينة المستندة على البيانات والمعلومات الموثقة، وعن طريق اللقاءات الدورية مع الجهات المعنية في الدولة والمنظمات الدولية ذات العلاقة. كما يسعى المركز لدعم وتطوير القطاع الخاص والنهوض به، بما يقلل من اعتماد المواطنين على مؤسسات الدولة.

حقوق النشر محفوظة لمركز البيدر للدراسات والتخطيط

www.baidarcenter.org

info@baidarcenter.org